خطبة صلاة الجمعة 14/2/2020 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(لن يغلب عسر يسرين)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً، يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً﴾ [الجن: 1] قال ابن كثير: يهدي إلى الرشد أي يهدي إلى السداد والنجاح.

وقال سبحانه: ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً﴾ [الكهف:10] قال المفسرون: معنى قوله هيئ لنا من أمرنا رشدا، يَسِّر لنا طريقاً سديداً للخير وللحق. والرَشَد والرُشْد هو الاهتداء لطريق الحق.

أخرج أبو داود والترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من يطع الله ورسوله فقد رَشَد، ومن يعصهما فإنه لا يضرُّ إلا نفسَه، ولا يضرُّ الله شيئا**».

أيها الإخوة:

هذه الخطبة الخامسة عشرة في سلسلة (**دليل إرشادي**)، تتناول كل خطبة منها مشكلة اجتماعية أسرية أو مالية أو أخلاقية وقع فيها عددٌ منا وهو مهتم لمعرفة طريق الخلاص منها، وتقدم الخطبة مادة إرشادية للمبتلى تعينه على تبصر طرق الحل، وتمكنه من الاهتداء للصواب في التعامل مع ما وقع فيه.

وليست الخطب قوالبَ جاهزة تصلح لتطبيقها على جميع الواقعين بالمشكلة؛ لكنها قواعدُ مساعدة تفيد في تبصر طريق الحل، إذْ الاختلاف بين البشر سنة، والقضايا الاجتماعية تحتاج مرونة.

عنوان خطبة اليوم: **(لن يغلب عسر يسرين)**

المسألة:

عام 2010 أعدتُ فتحَ محلِّنا المهجور منذ سنوات طويلة، رتّبته وجلبت بضائع متنوعة إليه، وواظبت على الدوام فيه، ونزلت الأزمة ومرت سنة وسنة وأنا أدفع له ولا آخذ منه، فلما أعياني ذلك ولم يتيسر رزقي فيه أغلقته، ذهبت وعملت في شركة برمجيات والتزمت الدوام ستة أشهر ولكن لم أجد فيها ضالتي ولا رأوا فيّ ما يحتاجون فتركتهم، حاولت السفر فلم يتيسر لي ذلك، سعيت للزواج وزارت أمي عشرات الأسر فلم ييسر الله أمري، أشعر أنّ الأبواب موصدة والأقفال مرتجة وأموري معسرة؛ فأرشدوني.

أيها الإخوة:

التيسير أن يسلك الله بالعبد سبيل السهولة والفتح والنجاح، والتعسير عكسه، ولا زال الناس يحبون التيسير وينفِرون من التعسير، يدعون الله تيسير زواجهم ودراستهم وأعمالهم وسفرهم وحضرهم، يُسمُّون أبنائهم ميسراً وياساراً وتيسيراً ويسرى وأبا اليسر؛ تفاؤلاً واستبشاراً، ولا تجد أحداً منهم يحب التعسير أو يطلبه أو يسمي ولده بأسماء العسر والتعسير.

فما الأمور التي إذا سلكتَها سلك الله بك جادة التيسير؟!.

الدليل الإرشادي:

في الدليل ثلاث فقرات: ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً، من يسّر على الخلق يسر الله عليه، إنّ مع العسر يسرا.

أولاً: ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً:

هذا قانون من قوانين الله تعالى في القرآن الكريم، ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً، فمن أراد تيسير زواجه ودراسته وسفره وعمله فليلزم تقوى الله، فليلزم فعلَ المأمورات وتركَ المنهيات. ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (7) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (8) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (9) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ [الليل: 5 – 10].

فإذا ضاق عليك أمرٌ، وإذا أغلق دونك باب فانظر هل هجرت مأموراً به أو فعلت منهياً عنه؟!.

أخرج الطبراني بإسناده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللهِ فَإِنَّهَا جِمَاعُ كُلِّ خَيْرٍ». ويستحيلُ أن تتقيه ثمَّ لا يكونَ معك.

ولعلَّ سائلاً يسأل: نرى عدداً من أهل الفسق والفجور ميسرةً مصالحُهم هينةً أمورُهم، وهم أبعد الخلق عن التقوى، فكيف ذلك؟!.

الجواب: إذا رأيتَ اللهَ ميسراً على عبدٍ مصالحه وأعماله والعبد مقيم على المعاصي لا يرتدع عنها فاعلم أنه مستدرَج، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ * فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام:44-45].

ثانياً: من يَسّر على الخلق يسَّر الله عليه:

جرت عادةُ الله تعالى أنَّ الوصف الذي تعامل به الخَلق يعاملك به الحق، فإذا عاملتَ الخلقَ بالرَّحمة عاملك الله بالرَّحمة، «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ» [أبو داود والترمذي] وإذا عاملت الخلق بالعفو والمسامحة عاملك الله بالعفو والمسامحة، ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ﴾ [النور:22] وإذا عاملتَ الخلقَ بالستر عاملك الله بالستر، «مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ» [البخاري ومسلم].

فالجزاء من جنس العمل: إذا أطعمت الخلق أطعمك الله، إذا سقيتهم سقاك، إذا كسوتهم كساك، أخرج أبو داود بإسناده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَيُّمَا مُسْلِمٍ كَسَا مُسْلِمًا ثَوْبًا عَلَى عُرْيٍ، كَسَاهُ اللهُ مِنْ خُضْرِ الْجَنَّةِ. وَأَيُّمَا مُسْلِمٍ أَطْعَمَ مُسْلِمًا عَلَى جُوعٍ، أَطْعَمَهُ اللهُ مِنْ ثِمَارِ الْجَنَّةِ. وَأَيُّمَا مُسْلِمٍ سَقَى مُسْلِمًا عَلَى ظَمَإٍ، سَقَاهُ اللهُ مِنَ الرَّحِيقِ الْمَخْتُومِ».

فمن يسّر يسّر الله عليه، ومن شقّ شقّ الله عليه، أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ».

فالوصف الذي تُعامل به الخلق يعاملك به الحق.

ثالثاً: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح:6]:

إذا طاف بك عُسرٌ، أو حلَّ بك ضيقٌ، أو نزلت بكَ شدةٌ، فلا تيأس؛ فإنّ الله تعالى جعل مع العسر يسراً ومع الضيق فرجاً، ومع الكرب مخرجاً، وسيجعل الله بعد عسر يسراً.

جاء في تفسير القرطبي لقوله تعالى في سورة الانشراح: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (5) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: 5، 6] أي إنَّ مع الضِّيق والشِّدَّة سَعةً وغنى.

ومن عادة العرب إذا ذكروا اسماً معرفاً ثمَّ كرَّروه فهو هو، وإذا ذكروا اسماً منكراً ثم كرروه فهو غيره وهما اثنان.

في الآيتين جاء العسر معرفاً –العسر– وكُرِّر مرتين، العرب إذا عرَّفت اسماً ثمَّ كررته فهو هو، أي نفس العسر.

أمَّا كلمة اليسر فجاءت منكرة، ثم كُرِّرت فهما اثنان، ففي الآيتين عسرٌ واحدٌ ويسران اثنان.

لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ» [الموطأ].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يقول الله تعالى خلقت عسراً واحداً، وخلقت يسرين، ولن يغلب عسر يسرين. [تفسير القرطبي]

وقال ابن مسعود ﷺ: والذي نفسي بيده لو كان العسر في جُحرٍ لطلبه اليسر حتى يدخل عليه ولن يغلب عُسر يسرين.

وكتب أبو عبيدة ابن الجراح إلى عمر ابن الخطاب يذكر له جموعاً من الرُّوم وما يتخوف منهم على البلد، فكتب إليه عمر رضي الله عنهما: أمَّا بعد؛ فإنه مهما ينزلْ بعبدٍ مؤمن من منزل شدة يجعلْ الله بعده فرجاً ولن يغلب عسر يسرين.

وإن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:200]. وسيجعل بعد عسر يسراً.

ألا يا أيها المرء	الذي الهم به برّح
إذا ضاقت بك الدنيا	ففكر في ألم نشرح
فعسرٌ بين يسرين	إذا كرَّرته فافرح

وبعد أيها الإخوة:

نقول للأخ صاحب المسألة وأشباهه: أيقن بأنّ اليسر قادم بعد هذا العسر، فالزم تقوى الله تعالى حيثما كنت، ويسر ما استطعت عن عباد الله، ثم أبشر بالخير. ﴿يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة:185] ﴿يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء:28] والله أعلم.

ختاماً – أيها الإخوة:

أخرج الإمام مسلم بإسناده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: **«من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل»**.

والحمد لله رب العالمين